دلالة الإيمان بين الغلو والجفاء

(دراسة توصيفيه مقارنة)

إعداد

د. إبراهيم محمد عبده موسى

قسم العقيدة والفكر الإسلامي

أكاديمية الدراسات العليا

جامعة ملايا

الملخص:

تمر بالأمة الإسلامية حالة من الضعف، وذلك بسبب ما لحق بفكرها الناصع وبعقيدتها الأصيلة شيء من الانحرافات الفكرية بين غلو من جهة وجفاء من جهة أخرى، كما كان لحالة الصراع الطائفي والمذهبي الذي تعيشه اليوم اللبنةُ الأساسية لما تعانيه، ولهذا تهدف هده الدراسة إلى استجلاء دلالة الإيمان، كما ترمي إلى أهمية مراجعة مفهوم الإيمان من منبعه الصافي؛ منهج أهل السنة والجماعة، وكشف حقيقة الدعاوى من أهم طرفي النزاع، فيما وقعت فيه من التباين لما عليه أهل السنة.

كما تسلط الدراسة الضوء على قضيتين هامتين، وهما: تنظيم الدولة الإسلامية: (داعش)، والسلفية التقليدية: (الجامية)، وأن الأصل الذي يسيران عليه هو منهج ليس بالجديد، بل هو قديم بقدم التاريخ الإسلامي، ولكن تتجدد تلك المناهج في أساليبها.

كما تكشف عن حقيقة دعوى تلك الطائفتين في التمسك بمنهج أهل السنة والجماعة، وتتناول الدراسة نماذج من تلك الدعاوى التي لا زالت تتوالى على الأمة، ولا زال المجتمع المسلم ينخدع بأكاذيبها وألاعيبها، وخلصت إلى ضرورة الوصول إلى مفهوم شامل جامع للإيمان تَبرأ من خلاله ساحة أهل السنة والجماعة من تلك الدعاوى، كما خلص إلى حتمية التسليم بأن هذا النزاع قد حدث في زمن خير القرون، ولم يستطيعوا الحد منه، فكيف بهذا القرن التي كثرت فيه الأهواء، وزادت فيه الدعوة إليها مع تطور دعوى الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، وأن هذه ضرورة ملحة تفرضها العقائد والثقافات.

الكلمات الدلالية: الإيمان، مفهوم، أهل السنة، الفرق، غلو، جفاء.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين... أمَّا بعد:

فإنه في ظل التحديات المحدقة بالأمة، ونصيحة للمسلمين، والدعوة إلى التمسك بما كان عليه الأئمة من أهل السنة والجماعة، والتحذير مما سار عليه أهل الفتنة من أصحاب البدع والمخالفين، والحرص على أن تظل الأمة متماسكة كما أراد منها ربها عز وجل؛ تعتقد بالإسلام اعتقادًا، وقولًا، وعملًا، وامتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [1]، سأورد في هذا المقال دراسة عن دلالة الإيمان؛ حيث تُعدُّ مسألة الإيمان من أكبر المسائل التي حصل فيها النزاع بين أهل السنة والمخالفين لهم، ولولا الفهم الخاطئ من تلك الفِرق لمسمى الإيمان لما وجدت هذه الخلافات، وليتضح أن أهل السنة والجماعة هم الوسط بين المغالين مثل الوعيدية، وبين الجفاة مثل المرجئة، وجاء التركيز على الخوارج والمرجئة لما وقع منهم من فتنة عظيمة سقط فيها كثير من أبناء المسلمين اغترارًا بهم، وتنبيهًا للأمة بخطورة هذه الفرق المنحرفة الذين ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [2]، وقد حرصتُ قدر الاستطاعة أن أُفَنِّد الخلل الذي وقعتْ فيه تلك الفرق؛ لمخالفة الوحيين، وفارقَتْ طريقةَ أهل السنة والجماعة.

إن كلمة الإيمان غالبًا ما ترتبط ارتباطًا مباشرًا مع المغيبات، فأركانه دالة على الإيمان الغيبي، ولكن عندما جاءت الشُّعب فإنها جمعت بين الغيبيات وأعمال الظاهر، ولذا نتج عن ذلك النزاع الحاد الذي نشأ بين أهل السنة وبين تلك الفرق والطوائف الأخرى، وهذا الذي جعل الكلام على مسمى الإيمان يُعدُّ مهمًّا، لا لذلك فقط، بل يُعدُّ هو الفيصل بين أهل السنة والمخالفين لهم؛ لذا كثرت المؤلفات حول قضية الإيمان من الطرفين، فهو يُعدُّ مهمًّا لَدى أهل السنة، كذلك يُعدُّ مهمًّا لَدى المخالفين لهم.

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٥٣).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٧٨).

وفي هذا المقال أَوردت أهم القضايا المتعلقة بالإيمان وبمسماه؛ حيث إن الحاجة إليه في بيان الفرق بين ما سار عليه أئمة أهل السنة، وما الذي عليه بعض المتأخرين مما خرج على الأمة في ثنايا الثورات الربيعية؛ باسم أهل السنة، وهو مخالف لهم شكلًا ومضمونًا، كحال الذين جفوا في حقيقة مسمى الإيمان من مرجئة العصر، الذين وقفوا في وجه التيارات الشعبية محذرين لهم من مغبة الخروج على السلطان، وحالهم حقيقة يخالف ما عليه السلف، بل أهم أقرب للإرجاء منهم للسلف. وكذلك للوقوف على التيارات المغالية، مع ادِّعائهم بأنهم يسيرون على منهج أهل السنة؛ إلا إنهم قد حادوا عن منهج أهل السنة بالمجال.

والمراد من إيراد مقال عن الإيمان كي يتضح المعتقد الصحيح من السقيم، ويُعرف مَن هم الذين تمسكوا بمنهج أهل السنة مِن الذين ليس لهم في دعواهم سوى الكلام؛ علَّ الله يكتب بها عموم الفائدة لمجتمعنا المسلم، وأخص منهم المؤسسات التعليمية المهتمة بالنشء المسلم.

مشكلة الدراسة:

التنازع والخلاف هما سبب الضياع والضعف ونبتة الصراعات، ودخول التيارات المنحرفة إلى الساحة الإسلامية، وبالذات في صفوف الشباب المسلم؛ هو المؤدي إلى تلك الصراعات والتأخر عن الأمم؛ لأن الاعتصام بالكتاب والسنة هما المنجى من التخلف الفكري، ويخطئ من يظن أنهما أساس التخلف، فبالعقيدة قامت الحضارات السابقة والحالية، وبانحرافها تنهار تلك الحضارات وتتهاوى. كما كان لظهور بعض الانحرافات العقدية، خاصة مع ظاهرة الثورات العربية، دورًا مهمًّا في تفشي الأفكار المنحرفة في المجتمع المسلم، مما جعل بعض أبناء المجتمع المسلم يتأثر بهم. وكان من أبرزها وأخطرها على الأمة تلك التيارات العصرية الموافقة للخوارج والمرجئة؛ ممن قد تلبسوا بلباس أهل السنة، وهم قد خالفوهم حقيقة.

تساؤلات الدراسة:

إن مشكلة الدراسة تثير التساؤلات التالية:

١. ما هو المفهوم الصَّحيح للإيمان، لدى أهل السنة والجماعة؟

٢. ما هي المفاهيم المخالفة لأهل السنة في مسائل الإيمان، من حيث الغلو الجفاء؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف التالية:

١. بيان المفاهيم المتعلقة بالإيمان والعقيدة السليمة عند أهل السنة والجماعة.

٢. الكشف عن الخطأ الذي خالف فيه (داعش، والجامية) في عصرنا لمنهج أهل السنة في مسائل الإيمان.

أهمية دراسة الانحراف العقدي:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في قيمة هذا الموضوع الذي يركز- وبشكل أساسي- على إصلاح النفس الإنسانية وتزكيتها على خُطى التوحيد والعبادة السليمة، وذلك بتربيتها على ضبط النفس ومخالفة الهوى، كما تكمن الأهمية في تجلية اللبس العالق لدى نفوس البعض حول بعض التيارات المتلبِّسة بالإسلام، وفي حقيقتها تحمل في كنفها الدمار للإسلام والمسلمين، ويمكن إجمال أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

١. اشتمال الدراسة على جملة من آي الكتاب والسنة المطهرة، ومبادئ العقيدة المتضمنة للإيمان.

٢. تسليط الضوء على التيارات المنحرفة عن منهج أهل السنة في دلالة الإيمان ومسمياته.

٣. الحاجة لمثل هذا الموضوع الذي يحذِّر من الانحراف في العقيدة، كيف لا والمتأمل يرى صورًا متعددة للانحرافات في مجتمعنا المسلم، والتي أطلت بحلل جديدة، فيها من الخداع والتضليل التي يحتج بها كل تيار من تلك التيارات المنحرفة، ومِن ثمَّ التبصير بمعتقدهم في مفهوم الإيمان بين الغلو والجفاء.

مصطلحات البحث:

ما يتعلق بالتعبيرات الغامضة والتي قد تحتاج إلى عناية أكثر مِن غيرها من المصطلحات، والتي تحتاج إلى معنى ذي دلالة بالسياقات المتعلقة بالدراسة، فسوف نتعرض للبعض منها

والأهم، وهي:

مفهوم الإيمان لغة واصطلاحًا.

الإيمان لغة(١): أصل الكلمة: من (أ م ن)، والإيمان في اللغة له معنيان:

الأول: (الأمن)، أي: إعطاء الأمان والطمأنينة: الذي هو ضدُّ الخوف. وآمنتُه: ضد أخفتُه.

الثاني: (التصديق)، أي: الذي يصدق قوله بالعمل. وهو (مصدر): آمنَ. والتصديق: ضد التكذيب.

الإيمان في الاصطلاح(٢): هو التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام؛ بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئنانًا تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه. وأنَّ محمدَ بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رسولُ الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن ربِّه جل وعلا وعن دين الإسلام؛ من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، وبجميع مفردات الدين، والانقياد له صلى الله عليه وسلم بالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عمَّا نهى عنه صلى الله عليه وسلم وزجر؛ ظاهرًا وباطنًا، وإظهار الخضوع والطمأنينة لكل ذلك.

وخلاصته: (اعتقاد القلب الجازم، ونطق اللسان الصادق، وانقياد الجوارح اللازم؛ بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإقرار بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشَره).

---

(١) عمر، أحمد، **معجم اللغة العربية**، (القاهرة، عالم الكتب، ط،١ ٢٠٠٨ م)، (أ م ن). الأزهري، **تهذيب اللغة**، (بيروت، إحياء التراث، ٢٠٠١م)، ج ١٥، ص ٥١٣. الجوهري، **الصحاح**، (بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م)، ج٥.

(٢) مجموعة من الباحثين، إشراف: عَلوي السقاف، **الموسوعة العقدية**، (موقع: الدُّرَر السَّنية)، ج٥، ٣٤٨.

مفهوم العقيدة لغة واصطلاحًا:

العقيدة في اللغة: العين، والقاف، والدال: أصل واحد يدل على الشدَّة والوثوق، وإليه تَرجع فروع الكلمة[١]. فمادة "عقد" في اللغة تدور على معان، منها: الربط والشَّد، والعهد، والملازمة، والتأكيد.

العقيدة في الاصطلاح: اسمٌ يدل على علم الأديان عمومًا، وعلى الإسلام والإيمان بصفة خاصة فهي: (مجموعة المسائل الشرعية القطعية؛ التي تُميز بها أهل السنة عن سائر أهل البدع)[٢].

مفهوم الكفر لغة واصطلاحًا[٣]:

الكفر لغة: كفر الشَّيء: ستَره وغطَّاه، وكفَر الزَّارعُ البذرَ بالتراب: غطَّاه وسَتره، وكفر الشَّخص: أشرك بالله؛ لم يُؤمن بالوحدانيَّة أو النُّبوَّة أو الشَّريعة أو بها جميعًا.

الكفر اصطلاحًا: هو "ضد الإيمان، فالكُفرَ: عدم الإيمان بالله ورسله، سواءً كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل مجرد شك وريب أو إعراض أو حسد، أو كِبر أو اتِّباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم كفرًا، وكذلك الجاحدُ والمكذِّب حسدًا؛ مع استيقان صدق الرسل".

مفهوم أهل السنة لغة واصطلاحًا:

أهل السنة والجماعة لغة: أهل الشيء هم أخصُّ الناس به، ويقال: أهل الرجل: أخص الناس به، وأهل الإسلام: مَن يَدين به، وأهل المذهب: مَن يدين به[٤].

وأهل السنة والجماعة اصطلاحًا: قيل: هم السَّلف الصَّالح، العاملون بالكتاب

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ٤/ ٨٦، ٨٧، نقلًا عن: عثمان ضميرية، **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، (السعودية، مكتبة السوادي، ط٢، ١٩٩٦م)، ج١، ص١١٩.

(٢) الحازمي، أحمد بن عمر، **شرح العقيدة الواسطية**، دروس صوتية من موقع: http://alhazme.net

(٣) الفوزان، صالح، **عقيدة التوحيد**، (الرياض، دار المنهاج، ط١، ١٤٣٤هـ) ج١، ص٨٦.

(٤) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ١/ ١٥٠. وابن منظور، **لسان العرب**، ١١/ ٢٩.

والسُّنَّة، يُقابلهم أهل البدعة. وقيل: هم القائلون بخلافة أبي بكر وعمر عن استحقاق، يُقابلهم الشِّيعة والفِرق الأخرى(١).

السنة في اللغة: طريقة، نَهج، تصرُّف، سيرة يتَّبعه أناسٌ من جماعة أو منطقة معيَّنة؛ سواء كانت هذه السِّيرَةُ حَمِيدَةً أو ذَميمةً. والسُّنِّي: اسم منسوب إلى سُنَّة: مُتَّبِع مذهب أهل السُّنَّة، يُقابله بِدعيّ(٢).

وفي الاصطلاح: الهديُ الذي كان عليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأَصحابه؛ علمًا، واعتقادًا، وقولًا، وعملًا، وتقريرًا.

وتُطلق السّنَة- أَيضًا- على سُنَنِ العبادات والاعتقادات.

ويُقابل السنَّةَ: البدعة(٣).

مفهوم المرجئة لغة واصطلاحًا:

المرجئة لغة(٤): مِن رجأَ يُرجئ، إرجاءً، فهو مُرجِئ، والمفعول: مُرجَئ. وأرجأ الشَّخصُ الأمرَ: أخَّره وأجَّله.

وفي الاصطلاح: المرجئة: هم الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، فالإيمان عندهم: هو معرفة الله ومحبته، وترك الاستكبار عليه، ويرون أن الأعمال لا تَدخل في مسمى الإيمان، وأكثرهم على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ويقولون: لا تضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة(٥).

---

(١) عمر، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨)، ج٢، ص١١٢٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الأثري، عبد الله، **الوجيز في عقيدة السلف الصالح: (أهل السنة والجماعة)**، (السعودية، وزارة الشئون الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص٣٣.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج١، ص٨٣.

(٥) ينظر: **الفَرْق بين الفِرَق**، للبغدادي، (ص١٥١). **مقالات الإسلاميين**، للأشعري، (١/ ١٣٢- ١٥٤)، **التنبيه والرد**، للملطي، (ص٤٧).

قال ابن الأثير: "هم فرقة من فِرق الإسلام، يعتقدون أنه لا يضرُّ مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، وسُمُّوا مُرجئة؛ لأن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي؛ أي: أخَّره"(١).

وقال الشهرستاني: "والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القَدَرِيَّة، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة".

وأشهر فرق المرجئة: الجهمية، والأشاعرة، ومرجئة الفقهاء(٢).

مفهوم الخوارج لغة واصطلاحًا:

الخوارج وخارجيون في اللغة: جمع خارِجيّ، اسم منسوب إلى خارِج؛ ورجل خارجي: هو على مذهب الخوارج، والخارجي: الرجل يترأس بنفسه من غير رئاسة شرعية، ويخرج عن الجماعة والسلطان(٣).

واصطلاحًا: فرقة من الفِرق الإسلاميَّة، "أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أن حَكم، وهم مختلفون: هل كفره شرك أم لا؟ وأجمعوا على أنَّ كل كبيرة كفر، إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله- سبحانه- يُعذب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا إلا النجدات أصحاب نجدة.

وأول مَن أحدث الخلاف بينهم: نافع بن الأزرق الحنفي، والذي أحدثه البراءة من القعدة والمحنة لمن قصد عسكره، وإكفار مَن لم يهاجر إليه، ويقال: إن أول مَن أحدث هذا القول: عبد ربه الكبير. ويقال: رجل كان يقال له: عبد الله بن الوضين، قالوا: وقد كان نافع خالَفَه في أول أمره وبرئ منه، فلما مات عبد الله صار إلى قوله"(٤).

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج١، ص٨٤.

(٢) الشهرستاني، **الملل والنحل**، (ص١٣٩- ١٤٦).

(٣) الحميري، نشوان، **شمس العلوم ودواء كلام العرب**، ت: د. العمري والإرياني، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٩٩٩م)، ج٣، ص١٧٥٩.

(٤) الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، (دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، ألمانيا)، ط٣، ١٩٨٠.

الوعيدية:

الوعيدية لغة: مصدر وعد، وكَانَ وَعِيدُهُ شَدِيدًا: تهديدُه. والوعد بالشر: يلتزم بتنفيذ وعده ووعيده. ويوم الوعيد: يوم القيامة. الوعد يكون بالخير، والوعيد: هو التوعد والتهديد بالشَّر(١).

واصطلاحًا: هي الفِرق التي غَلَت في جانب الوعيد، قال الشهرستاني: "والوعيدية داخلة في الخوارج، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار(٢)". ويدخل فيها: المعتزلة، والخوارج، وما يندرج تحتهما.

مفهوم الغلو لغة واصطلاحًا:

الغلو لغة(٣): يدل على ارتفاع ومبالغة، ومجاوزة قدر، يقال: غلا الرجل في الأمر غلوًّا: إذا جاوز حدَّه. والغلو في الدين: المغالاة والمشقة وتحميل النفس ما لا تُطيق. وكلامه فيه غلو: فيه مبالغة، وتميَّز فكره بالغلو: بالتعصب. وغلا في الدين: تشدَّد فيه وجاوز الحدَّ وأَفرط.

واصطلاحًا: "مجاوزة الحد، والزيادة في الشيء؛ في حمده أو ذمه، على ما يستحق، ونحو ذلك(٤)".

وبنحو هذا التعريف عرَّفه الشيخ سليمان بن عبد الله، ويزيد– رحمه الله– الأمر وضوحًا؛ في تحديد ضابط للغلو بقوله: "وضابطه: تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله بقوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ "(٥).

(١) عمر، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨)، ج٣، ٢٤٦٧.

(٢) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، **الملل** والنحل، مؤسسة الحلبي، لا يوجد معلومات للناشر)، ج١، ص١١٤.

(٣) ابن فارس، أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، ت: محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٤، ص٣٨٧. باب (غلو).

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ت: العقل، (بيروت، دار عالم الكتب، ط٧، ١٩٩٩م، ج١، ص٣٢٨.

(٥) عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، **تيسير العزيز الحميد**، ت: الشاويش، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، =

مفهوم الجفاء لغة واصطلاحًا:

الجفاء في اللغة(١): مصدر جَفَا. أظهر له الجفاء: الكراهية والنفور. بينهما جَفَاء: مجانبة وتباعُد، وجَفَا الشَّيْءُ: بَعُدَ عنه. جفا على: أهمله وأعرض عنه وقطع الصِّلةَ معه.

وفي الاصطلاح: المقصود به هنا: هو ردُّ ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان، وكذلك هو نقيض غلو الوعيدية في مفهوم الإيمان، فهو طرف نقيض للغلو به، بينه محمد عليه الصلاة والسلام. وفي هذا المعنى نرى أنه قطع الصلة في العمل عن مسمى الإيمان المجمع عليه عند أهل السنة.

مفهوم التغاير(٢): تأتي فعل، وتأتي اسم. غايَرَ فعل: تغايرَ يتغاير، تغايرًا، فهو متغاير، وتغايرت الأشياء: اختلفت. تغايُرًا، فهو متغاير. وتَغَايَرَتِ الأَشياءُ: اختلفت. وتغاير: عدم تماثل.

مفهوم الترادف(٣): فعل، ترادف اللَّفظان: تطابقا أو تشابها في المعنى؛ مثل: فرس وحصان؛ كلمات مترادفة. وتأتي مصدر، ترادف الكلمات: تشابه معانيها، وترادف الكلمتين: أَن تختلفا لفظًا وتتَحدا معنى.

الدراسات السابقة:

- **فيما يتعلق بالجفاء**: فقد استفدت مِن بحث بعنوان: **(ظاهرة الإرجاء)** للدكتور سفر الحوالي؛ التي جاءت فكرته حول ما أصاب عقيدة معظم المسلمين اليوم مِن خَلَل بسبب تأثرهم بفهم منحرف يقوم على عقيدة الإرجاء، والتي بُنيت على فصل العمل عن الإيمان، وأن هذا الفهم السقيم أنتجته أسباب تاريخية؛ كان من أبرزها التصدي لفكر الخوارج الذي أوجد مناخًا للفتن والشرور بسبب ما وقع فيه من جريمة تكفير أعيان المسلمين، وما

=

٢٠٠٢م)، ج١، ص٢٥٤.

(١) **معجم المعاني الجامع**- معجم عربي عرب، مادة (جفاء)، http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/ / .

(٢) معجم المعاني الجامع- معجم عربي عرب، مادة (جفاء)، http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/ / .

(٣) المرجع نفسه، بتصرف.

تبعه من استحلال دمائهم، فجاء أصحاب الفكر الإرجائي، وسلكوا طريقًا أكثر انحرافًا وشرًّا، وقد تلقفت الأمة هذا الفهم المنحرف اعتقادًا وواقعًا، فعندها وقعت في التفريط، والتفلت من الأوامر الشرعية، واستسلمت للشهوات والدعة، وترك ما يشق على النفوس الضعيفة، لما رأوا في الإرجاء من متنفس لها من الملامة، ووجدت تفسيرًا يبرر لها التفريط. فالكتاب بحق عظيم القيمة، كبير الفائدة، ذلك بأنه يأتي في وقت يحصد فيه أعداء الإسلام ثمار الضعف والانهيار الحاصل في الأمة، والذي من أهم أسبابه ترك العمل. فالكتاب يُمثل دراسة علمية عميقة موفقة من عالم موفق، يتحسس به مواطن الداء في الأمة. ويشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب: الأول: يبحث في حقيقة الإيمان وارتباط العمل به. والباب الثاني: يبحث في التاريخ الفكري للإرجاء. والباب الثالث: الإرجاء الظاهرة، وتفصيل الكلام على نوعي الإرجاء؛ إرجاء الفقهاء والعُبَّاد، وإرجاء المتكلمين والمتمنطقين. والرابع: تفصيل لعلاقة الإيمان بالعمل. والخامس: بيان أن الإيمان حقيقة مركبة من القول والعمل.

– فيما يتعلق بالغلو: مِن الكتب المهمة في هذا الموضوع: «فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة»، لعلي الصلابي؛ وهو دراسة موضوعية علمية عن الخوارج والشيعة والرافضة، يتحدث فيه الكاتب عن نشأتهما، وانحرافهما، وفكرهما في عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه، وموقف أمير المؤمنين منهما، مستشهدًا بذكر الأحاديث النبوية التي جاءت في ذَمِّ هاتين الفرقتين، وما جرى من مناظرة ابن عباس للخوارج، كما ذكر صفات تلك الطوائف، وما هي الدوافع التي اضطرت عليًّا رضي الله لمقاتلتهم، كما تطرق لبيان الأحكام الفقهية التي اجتهد فيها أمير المؤمنين في معركتي الجمل وصفين ومع الخوارج، والتي اعتمد عليها الفقهاء فيما بعد. غير أن الكتاب يميل للنزعة التاريخية، وهذا الفرق بين الرسالتين.

– **في الجمع بينهما:** من الدراسات بحث بعنوان: «**مسائل الإيمان وضوابط التكفير**»، للدكتور، يوسف الأحمد، وهو بحث أعدَّه تعليقًا على العقيدة الطحاوية. وبالرغم من أن البحث يعد من الدراسات الحديثة إلا أن المسائل المطروحة به لا تنفك عن مسائل أصل النزاع

الوارد بين أهل السنة والمخالفين لهم، لذا تراه غالبًا ما يحيل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية بالخصوص، وتلاميذه مِن بعده وبعموم أئمة الدعوة النجديين. وقد أجاد المؤلف في نقض كلام المعتزلة والمرجئة والخوارج في المسائل المتعلقة بالإيمان، حيث نراه أتى بوصف (مرجئة الفقهاء)، والذي سبقه إليه شيخُ الإسلام، وقَرَّر مسألة زيادة الإيمان ونقصه، وناقش علاقة الإيمان بالعمل. وحَقَّق رأي علماء السنة في القول بأن: الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول وبالعمل، واستطرد في الرد على المرجئة الذين لا يقولون بتقسيمات أهل السنة في مُسَمَّى الإيمان والكفر؛ لأن الإيمان والشرك عندهم لا يَتجزأ ولا يتبعض. كما حَقَّق مسألة التكفير بين الموانع والشروط، وضوابط التكفير المطلق والمعيَّن، مقتفيًا بذلك آراء السلف من المتقدِّمين والمتأخرين.

أدوات البحث:

قمتُ بدراسة هذا الموضوع من خلال المنهج الاستقرائي، الكامن في تتبع ما كتبه أهل العلم والفكر، عن الإرهاب وصراع الحضارات، ثم الوصف والتحليل لما تَمَّ عرضه، ثم النقد والترجيح لما رآه الباحث راجحًا.

حدود الدراسة:

خصصت هذه الدراسة للحديث عن بعض التيارات المنحرفة والتي كان لها أثر على المجتمع المسلم؛ كالتالي:

الحدود الموضوعية: الانحرافات العقدية المؤثرة على الربيع العربي.

الحدود المكانية: المجتمع المسلم.

الحدود الزمانية: فترة الربيع العربي حتى كتابة أسطر الدراسة.

هيكلة الدراسة:

لقد قمتُ بتقسيم الدراسة إلى مبحثين، يتضمن كل مبحث ثلاثة مطالب. المبحث الأول تكلمت فيه عن التعريفات المتعلقة بالإيمان. والمبحث الثاني تكلمت فيه عن مسمى الإيمان لدى أهل السنة والتيارات المخالفة.

المبحث الأول: التعريفات المتعلقة بالإيمان

المطلب الأول: مفهوم الإيمان للغة واصطلاحًا:

- **الإيمان لغة:**

أصل الكلمة: (أ م ن)، والإيمان في اللغة له معنيان:

الأول: (الأمن): أي: إعطاء الأمن والطمأنينة؛ الذي هو ضد الخوف. وآمنته: ضد أخفته.

– يقال: آمن فلانًا: أعطاه أمانًا؛ قال تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ وآمن: أصبح داخلًا في الأمن. واستأمن إليه، أي: دخل في أمانه. ويقال: الأمنة والأمانة: نقيض الخيانة.

ومنها: (مُؤمِن) مفرد: اسم فاعل من آمنَ بـ/ آمنَ لـ.

– والمؤمن: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الَّذي منح الأمن والأمان لعباده في الدُّنيا والآخرة، وأمن عباده أن يظلمهم فهو: ﴿ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ۝٢٣﴾[1].

الثاني: (التصديق): الذي يُصدق قوله بالعمل. وهو (مصدر): صَدَّق. والتصديق: ضد التكذيب.

– وإذا قال العبد: آمنت بالله ربًّا؛ أي: صَدَّقت به. والمؤمن مُبْطن من التصديق مثل ما يظهر؛ قال الله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ۝١٣٦﴾[2]، ولهذا قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ۝١٧﴾[3]؛ أي: لا تقر بخبرنا، ولا تطمئن إليه، ولو كنا صادقين.

– ويقال: تصديق ويقين بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح.

– ويقال: ما وقر في القلب، وصدَّقه العمل؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ

(١) سورة الحشر، الآية: (٢٣).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٣٦).

(٣) سورة يوسف، الآية: (١٧).

إِيمَٰنًا ﴿٢﴾﴾[1].

- ويقال: إيمانيَّات، (جمع) إيمانيَّة: عقائد ومبادئ يعتنقها الشخص، ويتعامل بها مع الغير.

ومنها: آمنَ، يُؤمن، إيمانًا، فهو مُؤمِن، والمفعول: مُؤمَن.

ويقال: آمن الشَّخصُ: اعتقد وصدَّق "يؤمن بالنصر إيمانًا لا يتزعزع، وفي الحديث: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[2]، وقال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ﴿١٣﴾﴾[3]. وآمن بالله: أسلم له وانقاد وأذعن؛ قال الله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾﴾[4]"[5].

وممن له رأي مختلف في معنى الإيمان هو شيخ الإسلام ابن تيمية؛ رحمه الله، وهو يعتبر من الآراء المسددة التي تدل على عمق في الاستنباط، وتابعه على ذلك من المتأخرين الشيخ محمد العثيمين، فإنه يرى أن الإيمان هو (الإقرار)؛ حيث يرى أن معنى (أقر) أدق في الإيضاح والمعنى الاصطلاحي من معنى التصديق، وذكر ما هو السبب وراء هذا التعريف، وقد سرد وناقش معانيها بما هو مقنع، ودافع عن هذا الرأي أمام مَن يقول: إن الإيمان والتصديق مترادفان، مع ذكر الفرق بينهما من أربع وجوه تَدحض تلك الدعوى، يطول المقام هنا بذكرها؛ قال العثيمين رحمه الله: "أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة: التصديق، ولكن في هذا نظر؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة فإنها تتعدى بتعديها، ومعلوم أن

(١) سورة الأنفال، الآية: (٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٣)، باب: (من الإيمان: أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، وأخرجه مسلم في (الإيمان)، رقم: (٤٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٣).

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢٨٥).

(٥) عمر، أحمد، **معجم اللغة العربية**، (القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨ م)، (أ م ن). الأزهري، **تهذيب اللغة**، (بيروت، إحياء التراث، ٢٠٠١م)، ج١٥، ص٥١٣. الجوهري، **الصحاح**، (بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م)، ج٥.

التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه؛ فنقول مثلًا: صدقته، ولا تقول: آمنته! بل تقول: آمنت به، أو آمنت له، فلا يمكن أن نفسر فعلًا لازمًا لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعد ينصب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت)، فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت). ولهذا؛ لو فسر (الإيمان) بـ(الإقرار) لكان أجود؛ فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق، فتقول: أقر به، كما تقول: آمن به، وأقر له، كما تقول: آمن له"[١].

- **مفهوم الإيمان في الاصطلاح:**

قد يتوافق تعريف الإيمان في اللغة مع تعريف الإيمان الشرعي، مع العلم أن المعنى الاصطلاحي أشمل من اللغوي، لأنه هو المراد الذي نتعبد الله تعالى به. وعند قول "أشمل" يتضح لنا أن التصديق- مثلًا- هو لفظة من ألفاظ التعريف الاصطلاحي، وهو داخل كذلك في مسمى الإيمان، فعندما يأتي غير مقترن بلفظ الإسلام يُراد به في هذه الحالة: الدين كله، تمامًا مثل الإسلام إذا جاء غير مقترن بلفظ الإيمان، فإنه يشمل أصول الدين وفروعه؛ من اعتقاد وأقوال وأفعال. أما إذا جاءا مقترنين فيفسر كل واحد منهما بما يخصه من أعمال، فالإسلام يفسر بالعمل الظاهر، والإيمان يفسر بالعمل الباطن، مع ثبوت أن العبد لا يكون مسلمًا كامل الإسلام إلا إذا آمن، ولا يكون مؤمنًا كامل الإيمان إلا إذا عمل.

لذا؛ نستطيع القول بأن الإيمان في الاصطلاح هو: اعتقاد القلب الجازم، ونطق اللسان الصادق، وانقياد الجوارح؛ بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإقرار بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فالمسلم لا يحقق معنى الإيمان بدون أن يؤمن بأركانه، ثم لا يكون مؤمنًا حتى يربط إقراره الاعتقادي بعمل الواجبات وترك المحرمات، ويؤيدها بالسلوكيات والأفعال الحميدة. فلا يصح الإقرار القلبي دون الانقياد العملي؛ لذلك لا يمكن أن يزعم المرء أنه أقر بقلبه، ولا يُترجم ذلك إلى أفعال، فما كان في القلب حقيقة خرج على

(١) مجموعة من الباحثين، إشراف: عَلوي السقاف، **الموسوعة العقدية**، (موقع: الدرر السَّنِيَّة)، ج٥، ٣٤٨.

الجوارح امتثالًا.

فإذا تقرر أن الإيمان هو: (الإقرار)، فلا بد أن نعلم أن إقرار القلب يكون بأمرين:

الأول: اعتقاد القلب، ويراد به: تصديقه بالأخبار.

الثاني: عمل القلب، ويراد به: الانقياد والإذعان.

المطلب الثاني: العلاقة بين الإسلام والإيمان، ودخول الأعمال في مسمى الإيمان:

تبين مما سبق أن للإيمان معنى في اللغة ومعنى في الاصطلاح، ورأينا أن هناك استعمالات تَرد في التعريف الشرعي للإيمان، استعملت هي كذلك في التعريفات الشرعية للإسلام، كما جاء في حديث وفد عبد القيس، عن ابن عباس: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**آمركم بأربع: آمركم بالإيمان بالله وحده؛ أتدرون ما الإيمان بالله؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتُؤدوا الخمس من المَغنم**»[(١)]، فجعل هذا هو الإيمان، وذكر فيه الشهادتين والصلاة والزكاة، مما يدل على أنه قد يُفسر الإسلام بما يفسر به الإيمان، فإن اقتصر على الإسلام فإنه يستلزم دخول أعمال القلب فيه، وإن اقتصر على الإيمان كذلك دخلت فيه الأعمال الظاهرة فإن كلًّا منهما يدخل في الآخر.

أما إذا ذكرا جميعًا فالإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو أعمال القلب، كما في حديث "جبريل المشهور[(٢)]"؛ فقد فرَّق بينهما، فذكر الإسلام مغايرًا عن الإيمان، حينما سأله

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٣)، باب: (أداء الخُمس من الإيمان)، وهذا لفظه، وقد أخرجه في أحد عشر موضعًا من "**صحيحه**"، وأخرجه مسلم برقم: (١٧) في (الإيمان)، باب: (الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٠)، باب: (سؤال جبريل النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة)، رقم: (٤٧٧٧)، ومسلم برقم: (٨) ورقم: (١٠-٩)، باب: (بيان الإيمان والإسلام والإحسان)، من طريق أبي هريرة.

جبريل قال: «أخبرني عن الإسلام؟ قال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**». قال: صدقت، فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة؛ فالشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، كل هذه أعمال ظاهرة، فعندما يقوم العبد بها فهو يؤدي أعمالًا ظاهرة، وإن كان في الأصل مردها إلى إيمان ذلك العبد في حقيقة القيام بهذه الأعمال التي فسرت في الحديث بعمل الباطن، لذلك كان التقرير في الإيمان هو: (قول اللسان، وعمل الجوارح، مع تصديق ذلك بالقلب).

ولكن هذا المفهوم المجمع عليه عند السلف من أهل السنة ظهر ما يخالفه في منزلة العمل من الإيمان، والحكم على مرتكب الكبيرة، بين مغالٍ وجافٍ، فبينما يرى المغالون من الوعيدية أن من ارتكب أيَّ كبيرة يُخلد في النار على قول الخوارج، أو هو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة مصيره إلى النار؛ كما تزعم المعتزلة، وضيقوا بهذه النظرة على غيرهم. إذا بالمرجئة تظهر بالنقيض تمامًا، فقالوا: كل من انتسب إلى الإسلام، وصَدَّق به فهو مؤمن وإن عمل ما عمل من الكبائر. يقول العواجي: "فظهرت جماعة دفعوا بالإرجاء إلى الحد المذموم، فبدأ الإرجاء يتكون على صفة مذهب؛ فقَرَّر هؤلاء أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان، وأنه لا تضر مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة، وأن الإيمان في القلب؛ فلا يضر الشخص أي شيء بعد ذلك ولو تلفظ بالكفر والإلحاد، فإنه يبقى إيمانه كاملًا لا يتزعزع. وهذا بلا شك غلو مذموم...، ولقد احتدم النزاع بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة من جانب وبين المرجئة من جانب آخر في دخول الأعمال في مسمى الإيمان، ويظهر أثر ذلك في مرتكب الكبيرة: هل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وأمره في الآخرة إلى الله وإلى مشيئته؛ كما يقول السلف، أم هو كافر في الدنيا ومخلد في الآخرة في النار؛ كما تقول الخوارج، أم هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا؛ لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة هو مخلد في النار، كما تقول المعتزلة؟ أم هو مؤمن كامل الإيمان لم يتأثر إيمانه بالكبيرة مطلقًا، كما تقول

المرجئة؛ لأنه مصدق بقلبه، فلا مجال لأن يتأثر إيمانه؛ لأن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، بل يبقى إيمانه كاملًا إذا كان التصديق موجودًا في قلبه"(١).

ويقول الشيخ الحوالي: "ومن هنا نستطيع أن نتبين أيَّ المذهبين في الإيمان هو الحق؛ مذهب أهل السنة والجماعة أم مذهب المرجئة؟ ومعيار الحكم في هذا يبدأ من أصل الخلاف، وهو اختلاف مصدري التلقي والاستمداد عند الفريقين؛ فمَن يستقي من مصدر الوحي المعصوم فضروري أن يكون مذهبه هو الحق المتفق مع حقيقة الإنسان تبعًا لاتفاق دين الله ووحيه مع خلقه وفطرته، ومَن استقى مِن مصدر آخر- أيًّا كان- فلا بد أن يقع في التناقض، وأن يصادم حقيقة الإنسان تبعًا لمخالفته لصريح القرآن!

وبنظرة عامة نستطيع أن نستخرج بسهولة هذه النتيجة: إن أهل السنة والجماعة في اعتقادهم الجازم: أنَّ الإيمان عمل، والعمل إيمان، إنما يستقون مِن معين الوحي المعصوم- كتابًا وسنة- ما هو منسجم قطعًا مع حقيقة النفس الإنسانية. أما ما تعتقده المرجئة من التفريق بين الإيمان والعمل، وإثبات الإيمان كاملًا في القلب مع وقوع عمل الجوارح على خلافه(٢) فهو فصلٌ اعتباطيٌّ للحقيقة النفسية الواحدة، يجعل أحد شِقَّيها ذاهبًا ذات اليمين والآخر ذاهبًا ذات الشمال في وقت واحد، وهو ما لا يقع أبدًا، بل هذا الفصل يُشبه من الناحية العضوية فصل القلب عن الجسد، وفصل الطاقة عن الحركة. وحقيقة الأمر: أن المرجئة تعتبر الإيمان قضية ذهنية مجردة- تُسميها تصديقًا، أو معرفة- تعلق هذه القضية بالقلب كمادة جامدة ومعزولة لا تزيد ولا تنقص، توجد كاملة أو تذهب كاملة، ولا تستلزم أيَّ أثر في الوجدان والشعور أو الحركة والكدح، بل هي مثل أيِّ مَقولة فلسفية!(٣).

ولا شك أنها حين تعتقد ذلك يغيب عنها حقيقة بالغة الأهمية، وهي كيف إذًا يُفسر

(١) العواجي، غالب، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، وبيان موقف الإسلام منها**، (جدة، المكتبة العصرية، ط٤، ٢٠٠١)، ج٢، ص١٠٧٩.

(٢) ينظر: **الإيمان**، لابن تيمية، (ص ٣٤٧)، وسفر الحوالي: **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**، ففيه تفصيل ذلك.

(٣) الحوالي، سَفَر، **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**، رسالة دكتوراه، (القاهرة، دار الكلمة، ط١، ١٩٩٩)، ص١٢٦.

العمل الإنساني الذي لا يتوقف إلا لحظة الموت؟ ما مصدره؟ ما طاقته؟ ما دوافعه إن لم يكن الإيمان؛ أيًّا كان هذا الإيمان؟!

المطلب الثالث: أدلة أهل السنة على إدخال الأعمال في مسمى الإيمان:

إنَّ الرعيل الأول من صحابة- النبي صلى الله عليه وسلم- كانوا أسلم الناس فطرة، وأعمقهم فهمًا، ولهذا اختارهم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم؛ كونهم أصدق الناس، وأقلهم تكلفًا، وأفضلهم هديًا، وإنَّ معايشة الجيل الأول للوحي وصحبته- صلى الله عليه وسلم- مع ما آتاهم الله من سلامة الفطرة وصحة الفهم وحضور البديهة، جعلتهم أصدق الناس نظرًا، وأقلهم تكلفًا، وأحسنهم هديًا، وقد كمل لهم ذلك بصحبة خير ولد آدم نبي الهُدى والعِلم؛ محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا تجدهم اكتسبوا ذلك الهَدي والعِلم منه صلى الله عليه وسلم؛ فتراهم إن سئلوا عن قضية ما كان ردهم ردًّا موجزًا شافيًا كافيًا، إن لم يكن من صريح الوحي فهو قَبس مِن مِشكاته. ولو رأينا حالهم مع مسألة الإيمان- والتي تعددت فيها الآراء وتشعبت، وتنافرت فيها الفرق وتناحرت- فلا أدل على ذلك الهَدي والعلم.

وبالمقابل فقد "ذهبت الفرق الضالة كل مذهب لتأتي بتعريف للإيمان كما تريد؛ فمنهم مَن صرف نظره عن نصوص الوحي كلها، ومنهم مَن أخذ بعضها وغلا فيه وتعسف في تأويل الباقي أو إنكاره، ومنهم من ظل حائرًا متناقضًا لا يستقر له قرار. أمَّا الجماعة- الذين هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان- فما حادوا عن منهجهم المأمون قط، فكانوا إذا سئلوا عن الإيمان أجابوا بالوحي لا بالهوى؛ جوابًا يُراعى فيه حال السائل ومقام السؤال، كما كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يفعل؛ فمرة يُجيبون السائل بآية جامعة من كتاب الله تعالى؛ مثل جواب بعضهم بقوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[1]، ومرة يجيبون بحديثٍ، كما أجاب النبي- صلى الله عليه وسلم- جبريل أو وفد عبد القيس. ومرة يُعرفونه بفهمٍ فَهموه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال بعضهم: «الصَّبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»[2]. ومن الواضح أنه ليس في شيء من هذا تحديد مجرد للإيمان على المنهج المنطقي المتكلف. وعندما اتسع الخلاف وانتقلت الأمة من البحث في أعمال الإيمان وفرائضه؛ ليحققوه بكماله إلى البحث في ماهيته المجردة وحَدِّه المنطقي؛ ليتجادلوا فيها- ظهرت الحاجة إلى قول فَصل وأصل جامع يعرف به الناس هذا المفهوم في كتاب ربهم وسنة نبيهم، فتواردت أذهان علماء الجماعة وتواطأت أقوالهم وتواترت"[3].

ومن الأدلة التي يَستشهد بها أهلُ السنة على دخول العمل في مسمى الإيمان أيضًا: قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴿١٤٣﴾﴾[4]. وقد ثبت في سبب نزول هذه الآية كما في حديث البراء الطويل وغيره، وفي آخره: «أنَّه مات على القبلة قبل أن تُحَوَّلَ رجالٌ وقُتِلوا؛ فلم نَدْرِ ما نقول فيهم؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴿١٤٣﴾﴾[5]. قال الحليمي: "أجمع المفسرون على أنه أراد: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ فثبت أنَّ الصلاة إيمان، وإذا ثبت ذلك، فكل طاعة إيمان، إذ لم أعلم فارقًا في هذه التسمية بين الصلاة وسائر

(١) سورة البقرة، الآية: (١٧٧).

(٢) عَلَّق البخاري الجملة الأخيرة، وذكر الحافظ تخريجه كاملًا. **الفتح** (٤٨/١)، وهو في **السنة**، لعبد الله بن أحمد، (٩٨/١).

(٣) الحوالي، **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٤٣).

(٥) أخرجه البخاري، باب: (الصلاة من الإيمان)، رقم: (٤٠)، وأخرجه مسلم في (الصلاة)، باب: (تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة)، رقم: (٥٢٥).

العبادات"[١]، كذلك قوله تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿٤﴾﴾ [٢]، ومثله جميع الآيات المشابهة؛ كقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [٣]. فهذه الآيات فيها دلالة واضحة تُفيد أن جميع الأعمال الواردة مِن واجبات الإيمان، ولهذا جاء النفي الصريح للإيمان لمن لم يعمل بها[٤].

ومن الأدلة الصريحة أيضًا: حديث وفد عبد القيس المتقدم، "ومعلوم أنه لم يُرد أن هذه الأعمال تكون إيمانًا بالله بدون إيمان القلب؛ لما قد أخبر في مواضع: أنَّه لابد من إيمان القلب، فعُلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأيُّ دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فَسَّر الإيمان بالأعمال، ولم يذكر التصديق مع العلم بأن هذه الأعمال لا تُفيد مع الجحود"[٥].

ومن الأدلة أيضًا: قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يَزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[٦]، كما جاءت أحاديث عدة في نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة، أو ترك

(١) يُنظر: **الموسوعة العقدية**، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية: dorar.net.

(٢) سورة الأنفال، الآية: (٤-١).

(٣) سورة النور، الآية: (٦٢).

(٤) للتوسع في هذا الموضوع يُنظر: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، (٧/١٨).

(٥) العقل، ناصر، **شرح العقيدة الطحاوية**، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net.

(٦) أخرجه البخاري، باب: (السارق حين يسرق)، (٦٧٨٢)، ومسلم، باب: (نقصان الإيمان بالمعاصي)، (٥٧)، من حديث أبي هريرة.

الواجبات؛ منها: قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا إيمان لمن لا أمانةَ له**»[(١)]؛ قال الحافظ ابن رجب في تعليقه على الحديث: "فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها؛ لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته"[(٢)].

وقال ابن تيمية: "ثم إنَّ نفي الإيمان عند عدمها دالٌّ على أنها واجبة؛ فالله ورسوله لا يَنفيان اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ**»[(٣)]، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «**مَن أعطى لله ومنع لله، وأحبَّ لله وأبغض لله، وأنكح لله؛ فقد استكمل إيمانه**»[(٤)]، وغيرها الكثير من الشواهد، وكلها تدل على أن هذه الأعمال جزء من مسمى الإيمان يكمل بوجودها وينقص بنقصها، ومثل ذلك جميع الآيات والأحاديث الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه كما سيأتي؛ "لأنَّ الأعمال إذا كانت إيمانًا كان بكمالها تكامل الإيمان، وبتناقصها تناقص الإيمان، وكان المؤمنون متفاضلين في إيمانهم، كما هم متفاضلون في أعمالهم، وحرم أن يقول قائل: (إيماني وإيمان الملائكة والنبيين واحد)؛ لأن الطاعات كلها إذا كانت إيمانًا، فمن كان أكثر طاعة كان أكثر إيمانًا، ومن خلط الطاعات بالمعاصي كان نقص إيمانًا ممن أخلص الطاعات"[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (٣/١٣٥)، وابن حبان برقم: (١/٤٢٢)، من حديث أنس. قال الذهبي في "**المهذب**": "سنده قوي"، وصححه الألباني في "**صحيح الجامع**" (٧١٧٩).

(٢) الحنبلي، ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ت: شعيب الأرناؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ٢٠٠١)، ج١، ص١٠٥.

(٣) أخرجه البخاري، باب: (وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات)، (٧٥٦)، ومسلم، (٣٩٤) باب: (وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة)، كلاهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، والترمذي (٢٥٢١)، من حديث معاذ الجهني، وحسنه الألباني في "**السلسلة الصحيحة**: (٣٨٠)، وقال: "والحديث بمجموع الطريقين صحيح".

(٥) ينظر: الوهيبي، محمد بن عبد الله، **نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف**، ١/ ٣٢.

والحاصل: أن هناك تباينًا بين أهل السنَّة من جهة وبين الوعيدية والمرجئة من جهة، فأهل السنة يُدخلون العمل في مسمى الإيمان، وأن الكبائر تتفاوت؛ فمنها ما يُذهب الإيمان بالكلية حتى لو كان قولًا أو فعلًا؛ كون ذلك العمل من شروط الصحة، ومنها ما ينقص الإيمان، ولا ينتفي عن فاعلها الإيمان بالكلية؛ كون العمل في هذا الجانب شرط كمال.

فأهل السنة وسط؛ خلافًا للوعيدية التي تنفي الإيمان بالكلية عن مرتكب الكبيرة؛ كالخوارج، أو تقول: هو ليس بمؤمن ولا كافر في الدنيا، وفي الآخرة مخلد في النار؛ كالمعتزلة. كذلك خلافًا للمرجئة التي تقول: لا يَضر مع الإيمان أيُّ معصية. فعند الوعيدية: الإيمان يزول بالمعصية. وعند المرجئة: إيمان العاصي كإيمان الصحابي(١).

ولذا يمتنع أن يكون أن يكون هناك إيمان في القلب، مع خلوه من جميع أعمال الجوارح؛ يقول اين تيمية: "إنَّ جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب، وإن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع؛ سواء جُعل الظاهر من لوازم الإيمان أو جزءًا منه"(٢)، وقال: "فالعمل يصدِّق أن في القلب إيمانًا، وإذا لم يكن عملٌ كذب أن في قلبه إيمانًا؛ لأن القلب مستلزم للعمل الظاهر، وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم"(٣).

(١) يُنظر في ذلك: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، ج٧، ص١٥.

(٢) المرجع السابق، (٦١٦/٧).

(٣) المرجع السابق، (٢٩٤/٧).

المبحث الثاني: مسمى الإيمان لدى أهل السنة والفرق المخالفة

المطلب الأول: مسمى الإيمان:

وردَ كثير من أقوال أهل العلم في مسمى الإيمان، سوف نذكر منها الأهم والمتفق عليها في أصولهم، والتي سَبَّبت الإشكال بين أهل السنة والمخالفين لهم في ذلك المسمى، فمسمى الإيمان عند أهل السنة له معان التي لا تنفك عن بعضها، وهي جِماعه. وهذه المعاني هي:

١. قول، وعمل.

٢. قول، وعمل، ونية.

٣. قول، وعمل، ونية، واتِّباع السنة.

٤. قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

- **أصول الإيمان عند أهل السنة:**

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "كان الإجماع من الصحابة والتابعين بعدهم ومَن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد منهم عن الآخر[١]"، وقال الإمام البخاري رحمه الله: "لقيتُ أكثر مِن ألف رجل من أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر؛ لقيتُهم كرَّاتٍ[٢]، قرْنًا بعد قرْنٍ، أدركتُهم وهم متوافرون منذ أكثر من ستٍّ وأربعين سنة...، فما رأيتُ واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء: أنَّ الدِّينَ قول وعمل، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[٣]"[٤]. وهذه الأصول هي:

---

(١) أبو زيد، بكر، **درء الفتنة عن أهل السنة**، (الرياض، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ).

(٢) **الكرَّة**: المرَّة. والجمع: كرَّات، والكَرُّ: الرجوع على الشيء، يقال: كَرَرْتُ عليه الحديث: إذا ردَّدته عليه.

(٣) سورة البينة، الآية: (٥).

(٤) اللالكائي، هبة الله، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: أحمد الغامدي، (الرياض، دار طيبة، ط٨، ٢٠٠٣م)، ج١، ص٩٣.

١. اعتقاد القلب، وله ركنان:

الأول: قول القلب، يُراد به: اعتقاده، وإقراره، وتصديقه، وهو ما عقد عليه القلب، وأيقن به؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يخرج مِن النَّار مَن قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خيرٍ**»(٢).

الثاني: عمل القلب: يقصد به نيته وإخلاصه، وانقياده، وخشيته، ورجاؤه، وتوكله وإقباله على الله بالكلية، وكل ما هو مِن أعمال القلب؛ قال الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٥٢﴾﴾(٣).

٢. إقرار اللسان:

قول اللسان: النُّطق والإقرار بمدلول الشهادة؛ قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ (٥)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**»(٦).

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٣٣- ٣٤).

(٢) رواه البخاري في "**الصحيح**"، برقم: (٤٤)، باب: (زيادة الإيمان ونقصانه)، ومسلم برقم: (١٩٣)، باب: (أدنى أهل الجنة منزلة فيها).

(٣) سورة الأنعام، الآية: (٥٤).

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٣٦).

(٥) سورة الأحقاف، الآية: (١٣).

(٦) البخاري برقم: (١٣٩٩)، باب: (وجوب الزكاة)، ومسلم: (٣٢)، باب: (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله).

عمل اللسان: وهي الأعمال التي تؤدى باللسان؛ كـ: تلاوة القرآن، الأذكار، التكبير، الاستغفار التسبيح، الدعاء، التحميد، التهليل، الدعوة، وتعليم الخير، وغير ذلك من الأعمال التي تُؤدى باللسان؛ فهذا كله من أعمال اللسان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾[1]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[2].

٣. عمل الجوارح:

الانقياد في فِعل الواجبات، وترك المحرمات، كـ: الصلاة، والركوع، والسجود، والصدقة، والحج، والجهاد في سبيل الله، والصيام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجميع ما في شُعَب الإيمان من أعمال الجوارح؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾[4]، والأدلة المشتملة على مسمى الإيمان عند أهل السنة في هذا الجانب كثيرة، فمن جاء بذلك جميعًا فقد حَسُن إيمانه واكتمل.

- **ما يُضاد أصول الإيمان:**

جاء أنَّ أصول الإيمان عند أهل السنة: (قول، وعمل، واعتقاد)؛ وهي الأساس الذي يقوم بنيانه عليها، بالمقابل هناك ما يُضاد ويناقض هذه الأصول؛ فتُخرج مرتكبها من دائرة الإيمان، وتُوقعه في دائرة الكفر والعياذ بالله، وهي كذلك: (قول، وعمل، واعتقاد)، ولا يكون

(١) سورة فاطر، الآية: (٢٩).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٤١).

(٣) سورة الحج، الآيتان: (٧٧- ٧٨).

(٤) سورة الفرقان، الآيتان: (٦٣- ٦٤).

إطلاقها عن هوى دون أن تُقَيَّد بضوابط. وهذه الضوابط هي:

١. الكفر؛ باعتقاد القلب، وله ركنان:

الأول: قول القلب، يُراد به: التكذيب بأركان الإيمان الستة، جميعها أو أحدها، ويدخل في ذلك مما يجب الإيمان به: هو ما جاء في كتاب الله عز وجل، وما ثبت مِن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وما فيهما من التفاصيل بما جاء بهما من أسماء الله، وصفاته، والملائكة، والجنة والنار، والبعث والنشور، والرسل، وما هو مأمور به من الواجبات؛ مثل: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وما هو مأمور بتركه من المحرمات؛ مثل: الشرك، والزنا، الخمر، والسرقة، أو شَك في قدرة الله وعِلمه.

الثاني: عمل القلب: ويدخل فيه الإشراك مع الله أحدًا في العبادة التي اختص بها الله تعالى؛ مثل: التوكل، والخوف، والرجاء والمحبة، أو في بُغض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بالمجمل أو بعضٍ منه، أو أيّ نوع من أنواع النفاق الاعتقادي؛ قال شيخ الإسلام: "واعلم أن الإيمان– وإن قيل: هو التصديق– فالقلب يُصدق بالحق، والقول يصدق ما في القلب، والعمل يصدق القول، والتكذيب بالقول مستلزم للتكذيب بالقلب ورافع لتصديقه؛ إذ أعمال الجوارح تُؤثر في القلب، كما أنَّ أعمال القلب تؤثر في الجوارح"(١).

٢. الكفر باللسان:

هو النطق والإقرار بما يخالف مدلول الشهادتين؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ (٢)، وقال الله: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾(٣)؛ قال ابن تيمية: "معلوم أنه لم يرد بالكفر هنا: اعتقاد

(١) ابن تيمية، **الصارم المسلول**، تحقيق: محمد محيي الدين، (السعودية، الحرس الوطني)، ج١، ص٥٢٤).

(٢) سورة التوبة، الآيتان: (٦٥– ٦٦).

(٣) سورة النحل، الآية: (١٠٦).

القلب فقط؛ لأن ذلك لا يكره الرجل عليه، وإنما يكره على القول فقط، فعلم أنه أراد مَن تكلم بكلمة الكفر فعليه غضب من الله، وله عذاب عظيم، وأنه كافر بذلك؛ إلا من أُكره وهو مطمئن بالإيمان، ولكن مَن شرح بالكفر صدرًا من المكرهين فإنَّه كافر، فصار مَن تكلم بالكفر كافرًا إلَّا مَن أُكره؛ فقال بلسانه كلمة وقلبه مطمئن بالإيمان...."(١).

قال إسحاق بن راهويه: "أجمع المسلمون على أنَّ مَن سَبَّ الله، أو سَبَّ رسولَه صلى الله عليه وسلم، أو دفع شيئًا مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبيًّا: أنه كافر وإن كان مقرًّا بكل ما أنزل الله"(٢).

وقال الإمام الخطابي: "لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله(٣)".

وقال أيضًا: "إنَّ سب الله أو سبَّ رسوله كفر ظاهرًا وباطنًا، سواء كان السَّابُّ يعتقد التحريم، أو كان مستحلًّا له، أو كان ذاهلًا عن اعتقاده. هذا مذهب سائر أهل السنة القائلين بأنَّ الإيمان قول وعمل"(٤).

٣. الكفر بعمل الجوارح:

كالسجود لصنم؛ قال الله عن إبراهيم: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾﴾(٥). وامتهان المصحف؛ قال الله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾(٦)، قال سليمان بن عبد الله: "وكما يكون الكفر بالاعتقاد يكون- أيضًا- بالقول؛ كَسَبِّ الله أو رسوله أو دينه أو الاستهزاء به؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾

(١) ابن تيمية، **الصارم المسلول**، تحقيق: محمد محيي الدين، (السعودية، الحرس الوطني)، ج١، ص٥٢٤)، بتصرف.

(٢) المغراوي، محمد، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، (القاهرة، المكتبة الإسلامية للنشر، ط١، *)، ج٣، ص٤٥٠.

(٣) المرجع السابق، ص٤.

(٤) المرجع السابق: ص٥١٢.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: (٣٥).

(٦) سورة الحج، الآية: (٣٢).

لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴿٦٦﴾ ، وبالفعل أيضًا؛ كإلقاء المصحف في القاذورات، والسجود لغير الله، ونحوهما"(١).

والحكم بغير ما أنزل الله؛ قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (٢). وتولي الكافرين؛ قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾(٣).

قال الأسيوطي: "الردة: هي قطع الإسلام بنية، أو قول كفرٍ، أو فِعل؛ سواء قاله استهزاءً، أو عنادًا، أو اعتقادًا"(٤). وفي فتوى جاءت عن (اللجنة الدائمة الموقَّعَة من كبار العلماء في السعودية؛ منهم: العلامة ابن باز، وآل الشيخ، والغُديان، وبكر أبو زيد، والفوزان- ما يلي: "والكفر يكون بالقول والترك والاعتقاد والشَّك، كما قامت على ذلك الدلائل من الكتاب والسنة"(٥).

وممن خالف في ذلك المرجئة، فقالت: إنَّ الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد، وهو الجُحود والاستحلال، أما القول والفعل فإنه لا يكون به كفر؛ قال الشهرستاني: "وإلى هذا المذهب مَيْل ابن الرواندي وبشر المريسي، قالا: الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعًا، والكفر: هو الجحود والإنكار، والسجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر في نفسه، ولكنه علامة الكفر"(٦).

(١) عبد الوهاب، سليمان، **التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق**، (الرياض، دار طيبة، ط١، ١٩٨٤م)، ص١٠١.

(٢) سورة المائدة، الآية: (٤٤).

(٣) سورة المائدة الآية: (٥١)

(٤) الأسيوطي، **جواهر العقود**، تحقيق: مسعد السعدني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٥٠.

(٥) **اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية**، رقم الفتوى: ٢٠٢١٢، وتاريخ: ١٤١٩٩/٢/٧هـ.

(٦) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٤٤.

المطلب الثاني: خلاف أهل السنة في الإيمان من حيث العموم والخصوص:

سبق أن الإيمان عند أهل السنة: «قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح»، وعلى هذا اتفق أهل السنة، وعندما بَوَّب الإمام البخاري في "صحيحه" باب (الإيمان)، قال: «وهو قول وفعل. وقال: إني خرَّجت هذه الأحاديث عن أكثر من ثلاثمائة شيخ، كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل»، ومع أنَّ علماء أهل السنة يقولون بذلك في مسمى الإيمان، إلا أنهم اختلفوا: هل الإسلام والإيمان بمعنى واحد أو بينهما فرق؟

- **الأقوال المشهورة عند أهل السنة في الفرق بين الإيمان والإسلام:**

الأول: كونهما متغايران:

- الإسلام: فِعل الفرائض، مختص بالاستسلام لله والخضوع له، والانقياد لحكمه.
- الإيمان: قول اللسان، وعمل القلب والجوارح.

إن ذُكِرا مجتمعين أو مُنفصلين فإنَّ كل واحد منهما له معنى يخصُّه في ذاته[1].

وقد استدلوا ببعض الأدلة التي تُفيد أنَّ الإسلام هو الأعمال الظاهرة من البدن، والإيمان هو الأعمال الباطنة في القلب، فهما إذًا متغايران؛ مثال ذلك: قال تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[2]، وكذلك (حديث جبريل المشهور الذي سبق معنا)[3]، وفي "الصحيحين" عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»، وفي الحديث أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما الإسلام؟ قال: «**إطعام**

(١) ينظر: ما قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي- رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة في بحثه في "**مسائل الإيمان**".

(٢) سورة الحجرات، الآية: (١٤).

(٣) رواه مسلم في "**صحيحه**"، برقم: (٨)، باب: (معرفة الإسلام والإيمان والقدر).

الطعام، وطِيب الكلام». قيل: فما الإيمان؟ قال: «**السَّماحة والصبر**». قيل: فمن أفضل المسلمين إسلامًا؟ قال: «**مَن سَلِم المسلمون مِن لسانه ويدِه**». قيل: فمَن أفضل المؤمنين إيمانًا؟ قال: «**أحسنهم خُلُقًا**»"(١).

الثاني: كونهما شيء واحد:

وقد استدل أصحاب هذا القول ببعض الأدلة التي تفيد أن الأعمال الظاهرة داخلة في معنى الإيمان، وأن الأعمال الباطنة داخلة في معنى الإسلام. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿٨٥﴾﴾(٢)، فلو أن الإيمان غيره لم يُقبل، وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾(٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**الإيمانُ بِضع وسبعون**– أو– **بِضع وسِتُّون شعبة؛ فأفضلها قول: لا إله إلا الله**»(٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تُعطوا الخُمس من المَغنم...**»، إلخ، وقوله: «**إن للإسلام صوى ومنارًا كمنار الطريق؛ منها: أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئًا، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...**»، إلى أن قال: «**فَمَن ترك من ذلك شيئًا فقد ترك سهمًا من الإسلام، ومن تركهن فقد وَلَّى الإسلام ظهره**»(٥).

---

(١) صححه الألباني، وقال: "حديث صحيح رجاله ثقات، لولا عنعنة الحسن، ولكن له شاهدًا من حديث عمرو بن عبسة في المسند"، ٣٨٥/٤، وآخر من حديث عبادة بن الصامت ٣١٨/٥- ٣١٩. ينظر: ابن أبي شيبة، **الإيمان**، (الأردن، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣م)، ص١٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٨٥).

(٣) سورة الحجرات، الآية: (١٥).

(٤) رواه مسلم في "**صحيحه**"، رقم (٥٧)، باب: (شعب الإيمان)، عن أبي هريرة.

(٥) الهروي، القاسم بن سلام، **الإيمان**، ت: الألباني، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣)، حديث رقم: (٣)، =

وممن ذهب من العلماء للقول بأن الإسلام والإيمان شيء واحد، وأنَّ من أطلق عليه مسلم فإنه يَصدق عليه أنه مؤمن وبالعكس: ابن رجب في شرح حديث جبريل الذي فيه تفسير الإسلام والإيمان: أن أحدهما يُفَسَّر بما يفسر به الآخر، سواء اجتمعا أو افترقا. واستدلوا كذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: «**وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان**»(١).

الثالث: كونهما مترادفان:

أي: أن كل واحد منهما مُستقل عن الآخر، حال اجتماعهما، نقول: (الإسلام والإيمان)، أو (المسلمون والمؤمنون). وإن ذكر أحد الاسمين بمفرده شمل الاثنين معًا، فعند قول: الإسلام، فإنه يراد به: (الإسلام والإيمان معًا)، والعكس كذلك، وهذا الذي يُطلق عليه أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعًا؛ فلكل واحد منهما تفسيره، وإن ذكر أحدهما أغنى عن الآخر، وذلك بناء على الأصل، فإنَّ أصل الإيمان هو التصديق بالقلب الذي هو إقراره، وأصل الإسلام: هو الإذعان والانقياد.

وقد ذهب فريق من أهل العلم- رحمهم الله- إلى أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد، وأنهما مترادفان، وممن قال بهذا القول: البخاري(٢)، كما بَسط القول في هذه المسألة المروزي، واختار هذا الرأي، وعزاه إلى جمهور أهل السنة(٣)، وكذلك الحافظ ابن منده، رحمهم الله تعالى، واحتج هؤلاء بقوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ

=

ج١، ص١٤، وقال الألباني: "صحيح على شرط الشيخين". ينظر: **صحيح الجامع**: (٢١٦٢)، و**الصحيحة**: (الرياض مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٥)، (٣٣٣).

(١) راجع: **شرح النووي على مسلم**، جـ٢، ص٣.

(٢) ينظر: **صحيح البخاري**، كتاب: (الإيمان)، باب: (سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان)، (١/ ١٤٠).

(٣) ينظر: المروزي، محمد بن نصر، **تعظيم قدر الصلاة**، (المدينة، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٦هـ)، ج٢، ٥٠٦- ٥٣١، وأيضًا: ج١، ص ٤١٨.

ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[١]، وبقوله: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ ﴿١٣٧﴾﴾ [٢] مع قوله: ﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ ﴿٢٠﴾﴾[٣]، وقالوا: في هذين الدليلين سوَّى الله تعالى بين اسم الإسلام واسم الإيمان؛ فدلَّ ذلك على أنَّ مَن آمن فهو مسلم، وأن مَن استحق أحد الاسمين فقد استحق الآخر[٤].

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴿١٤﴾﴾، والذي يدل بظاهره على الفرق بينهما، بأن الإسلام المذكور ليس على الحقيقة، وإنما كان على الاستسلام، أو الخوف من القتل، وكذا أجابوا على كل دليل ظاهره الفرق[٥].

وقد ذهب إلى هذا القول أكثرُ العلماء من أهل السنة؛ قال الأشعري عند الكلام على أصحاب الحديث وأهل السنة: "والإيمان عندهم: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالقدر؛ خيره وشره، حُلوه ومُره، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وما أصابهم لم يكن ليخطئهم. والإسلام: هو أن يَشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، على ما جاء في الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان[٦]".

ويرى ابن تيمية أنَّ بين الإسلام والإيمان تداخلًا، فالإيمان أخص من الإسلام، وإذا ثبت الأخص ثبت الأعم، ولا عكس، بحيث لا يوصف بالإيمان مَن ثبت له وصفُ الإسلام فقط إلا بدليل منفصل، يقول ابن تيمية: "عُلم أنَّ القلب إذا صلح بالإيمان صَلح الجسد بالإسلام، وهو من الإيمان؛ يدل على ذلك: أنه قال في حديث جبرائيل: «**هذا جبريلُ جاءكم يُعَلِّمكم دينكم**»؛ فجعل الدين هو الإسلام، والإيمان، والإحسان. فتبين أنَّ ديننا

(١) سورة الذاريات، (٣٥- ٣٦).

(٢) سورة البقرة، (١٣٧).

(٣) سورة آل عمران، (٢٠).

(٤) ابن منده: **الإيمان**، (٣٣٢/١).

(٥) ينظر: متولي، تامر، **منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة**، (دار ماجد عسيري، ط١، ٢٠٠٤)، ص٢٢٠.

(٦) الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، عُني به: هلموت ريتر، (ألمانيا، دار فرانز شتايز، ط٣، ١٩٨٠م) ج١، ص٢٩٣.

يجمع الثلاثة، وهو درجات ثلاث: مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (١)، والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه. وهكذا مَن أتى بالإسلام الظاهر مع تصديق القلب، لكن لم يَقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن، فإنه مُعرض للوعيد(٢)".

وغاية القول عنده: أن الإيمان إذا ذُكر وحده كان الإسلام لازمًا له وداخلًا فيه، دون العكس، إلا بدليل منفصل، أما إذا ذُكِرَا معًا فإنه يجب التفريق بينهما في المفهوم، وهذا خلاف ما رواه الخوارج من الترادف بينهما مجتمعين أو متفرقين.

إذًا: "يفسر الإسلام والإيمان إن اجتمعا؛ يُفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بأعمال القلب. فعندما نقول: بأن الشهادتين متلازمتين، فمن شهد (أن لا إله إلا الله) ألزم بأن يأتي بالشهادة الثانية، وهي الشهادة بالرسالة، ومَن شهد أن محمدًا رسول الله لَزِمه قبول رسالته، وأهمها قول: (لا إله إلا الله)، فهذا المراد بالتلازم. نقول: الإسلام والإيمان متلازمان؛ فمن أسلم في الظاهر قلنا له: لابد أن يكون إسلامك نابعًا عن قلب، ومَن آمن في الباطن، وحقق الإيمان الذي في قلبه، قلنا: لابد أن يكون الذي في قلبك له أثر وله علامات تَظهر على جوارحك، فإذا أظهرت ذلك فأنت مؤمن، وإذا لم تظهره فلست بمؤمن"(٣).

(١) سورة فاطر، الآية: (٣٢).

(٢) ابن تيمية، **الإيمان**، ت: الألباني، (الأردن، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ)، باب: (الإيمان): الجزء الأول، ص٣٢٠.

(٣) الجبرين، عبد الله، **شرح العقيدة الطحاوية**، د ٤٥، ص١٢. دروس صوتية من موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

المطلب الثالث: الخلاف بين الفِرق المخالفة لأهل السنة في معنى الإيمان:

ذكرنا الخلاف القائم بين أهل السنة في مسمى الإيمان من حيث العموم والخصوص، وفي هذا المطلب سأورد الخلاف القائم بين أهل السنة وبين الطوائف الأخرى المنتسبة إلى الإسلام في مفهوم الإيمان والعلاقة بينه وبين الإسلام، وهذا هو أساس الصراعات التي حصلت، والتي لا تزال بين طوائف المسلمين، وبسبب اختلاف الأفهام في مفهوم الإيمان أُريقت دماء المسلمين؛ كلٌّ يَسعى لإثبات فهمه بكل الوسائل؛ فأردتُ أن أُبين مواضع الخلاف الحاصل من المرجئة، من طرف والوعيدية من طرف آخر؛ إذ الخلاف بالعموم هو بَين هذين الطرفين، وتأتي بقية الفرق تَبَع، وليعلم أن منهج أهل السنة هو التوسط بين الطرفين.

- **حاصل الخلاف متعلق بالآتي:**

١. أن الإيمان شيء واحد، والكفر خصلة واحدة.

٢. أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٣. أنه لا يجتمع في القلب إيمان ونفاق.

٤. أنه لا يكون في أعمال العبد شُعبة من الشرك وشعبة من الإيمان.

وممن توافقت أصولهم في الإيمان على ذلك هم: (المرجئة، والخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والكَرَّامية، وفقهاء الإرجاء)، ولعلنا نورد على عجالة أهم قضايا الخلاف القائم في ذلك، مع ذكر لأهم طائفتين تفرَّعت عنهما بقية الفرق في مفهوم الإيمان ومسماه.

والخلاف الذي نشأ بين أهل السنة فيما بينهم في العموم نفس الخلاف الذي افترقت فيه الطوائف، غير أنَّ الخلاف الذي كان بين أهل السنة كان خلافًا شكليًّا لم يؤثر على المضمون الذي قد انحرف فيه غيرهم. ويُعد أهم أسباب الخلاف القائم بين جميع الفرق هو أصل واحد توافقت عليه كل الأطراف، وبنوا عليه أساس النزاع وهو: (أن الإيمان كلٌّ لا يتجزأ، إذا ذهب بعضُه ذهبَ كله).

• أولًا: المرجئة:

المرجئة[1]: هم الذين أَخَّروا العمل عن الإيمان، وأكثر فرق المرجئة تقول: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وقد قَسَّمهم الشهرستاني إلى أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة. وقَسَّمهم الأشعري إلى اثنتي عشرة فرقة، وأشهر فرق المرجئة: الجهمية، والأشاعرة، ومرجئة الفقهاء. وهذه الفرق الثلاثة انتشرت أقوالهم أكثر من بقية فرق المرجئة الأخرى. وقال حرب بن إسماعيل الكرماني صاحب الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه في "مسائله" المشهورة: "مَن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مُرجئ، ومن زعم أن الإيمان هو القول، والأعمال شرائع؛ فهو مرجئ، ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص؛ فقد قال بقول المرجئة، ومَن لم ير الاستثناء في الإيمان؛ فهو مرجئ، ومَن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة؛ فهو مرجئ، ومَن زعم أنه المعرفة في القلب وإن لم يتكلم لها؛ فهو مرجئ. وهذا الذي قاله حرب كله من كلام الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وقد ساقه بهذا اللفظ القاضي أبو الحسين في ترجمة أحمد بن جعفر أبي العباس الفارسي الإصطخري"[2].

وقال ابن الأثير في "النهاية": "المرجئة: فرقة من فرق الإسلام، يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، سموا مرجئة؛ لاعتقادهم أنَّ الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي؛ أي: أخره عنهم، والمرجئة تهمز ولا تهمز، وكلاهما بمعنى التأخير".

ولفظة الإرجاء؛ تدل على معنيين:

- المعنى الأول: التأخير.
- المعنى الثاني: إعطاء الرجاء.

(١) الشاطبي، **الاعتصام**، ت: هشام الصيني، (السعودية، دار ابن الجوزي للنشر، ط١، ٢٠٠٨)، ج٣، ص٣٦٥. و**الملل والنحل** (١/ ١٣٩)، و**الفرق بين الفرق** (ص٢٠٢)، و**مقالات الإسلاميين** (ص١٣٢)، و**التنبيه والرد**، للملطي، (ص٤٧).

(٢) التويجري، حمود، **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**، (الرياض، دار الصميعي، ط٢، ١٤١٤هـ)، ج١، ص٣١٤.

وهذا الوصف يَصدق على المرجئة بالمعنيين.

الأول: من حيث تأخير العمل عن مسمى الإيمان.

والثاني: من حيث إعطاء الرجاء للعاصي، وقد يتفق مع من يقول إن العاصي تحت المشيئة.

والمرجئة انقسموا في الإيمان إلى اثنتي عشر فرقة[١] يدور انقسامهم على شيئين:

الأول: في مسمى الإيمان، وهل العمل يدخل فيه؟

الثاني: هل العمل واجب في الإيمان؟

- **أولًا: الأصول المتفق عليها عند المرجئة في الإيمان:**

١. أن الإيمان هو الإقرار، أو المعرفة، أو هما معًا:

- منهم مَن يقول: المعرفة بالله وبرسوله.
- منهم من يقول: المعرفة بالله وبجميع ما جاء من عند الله.
- منهم من يقول: الإقرار أو المعرفة بالله فقط.
- أنه لا عبادة إلا الإيمان به، وهو معرفته.

٢. أن الإيمان شيء واحد، وأنه لا يزيد ولا ينقص، وعند البعض يزيد ولا ينقص، وممن قال بذلك أبو حنيفة وأصحابه: «أن الإيمان لا يتبعض، ولا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضل الناس فيه).

٣. ينكرون أن يكون في القلب إيمان وكفر؛ يقولون: إن الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح. أو أن يقال: إن فيهم بعض إيمان؛ إذ الإيمان لا يتبعض عندهم.

٤. أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه: أنه لا يَكفر بجحده.

---

(١) الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، عني بتصحيحه: هلموت ريتر، (ألمانيا، دار فرانز شتايز، ط٣، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م. ج١، ص١٣٢.

■ **ثانيًا: الأصول المختلف عليها عند المرجئة في الإيمان:**

١. أن الكفر بالله هو الجهل به فقط. ومن أقوالهم: «لا إيمان بالله إلا المعرفة به، ولا كفر إلا الجهل به».

٢. المعرفة: هي المحبة والخضوع؛ فمَن حَقَّقهما فهو مؤمن عند البعض، وعند البعض ليست من الإيمان، وزعموا أنَّ إبليس كان عارفًا بالله، لكنه لم يكن خاضعًا لاستكباره عند السجود، فهو كافر لذلك.

٣. أن الكفر خصلة واحدة. ومنهم من يزعم أن الكفر خصال كثيرة، ويكون بالقلب وبغير القلب.

٤. أن المعرفة معرفتين: اضطرارية، ومحبة وخضوع. وذكروا أن الإيمان هو التصديق باللسان، وأن المعرفة بالله فعل الله، وليست من الإيمان في قليل ولا كثير؛ لأن الإيمان: التصديق(١).

٥. يقولون بأن الإيمان ما عَصم من الكفر، ولا يسمون كل خصلة من الخصال التي هي إيمان إيمانًا ولا بعض إيمان، حتى تجتمع هذه الخصال، فإذا اجتمعت سموها إيمانًا؛ لاجتماعها، وجعلوا ترك الخصال كلها وترك كل خصلة منها كفرًا، فإذا وقعت فكل خصلة منها طاعة، فإن فعلت خصلة منها ولم تفعل الأخرى لم تكن طاعة؛ كالمعرفة بالله إذا انفردت من الإقرار لم تكن طاعة؛ لأن الله تعالى أمرنا بالإيمان جملة أمرًا واحدًا، ومن لم يفعل ما أمر به لم يطع(٢).

وسائر مَن قدمنا وصفهم من المرجئة يزعمون أن مرتكبي الكبائر من أهل الصَّلاة؛ مؤمنون بما معهم من الإيمان، فاسقون بما معهم من الفسق(٣).

(١) الخلف، سعود، **أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة**، (*، ط: ١٤٢٠هـ)، ج١، ص١٣٧.

(٢) المرجع السابق، باب: (اختلاف المرجئة)، ج١، ص١٣٥).

(٣) المرجع السابق، باب: (اختلاف المرجئة)، ج١، ص١٣٨).

■ **ثالثًا: قول المرجئة في مسمى الإيمان وتعريفه:**

– عموم المرجئة أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، ولهم أقوال عدة في تعريف الإيمان كالتالي:

– الجهمية: يزعمون أن الإيمان هو المعرفة القلبية، وأنه لا يتبعض، ولا يتفاضل فيه أهله.

– الماتريدية والأشاعرة يقولون: بأن الإيمان هو تصديق القلب، والبعض يقول: إنه لا يزيد ولا ينقص؛ كالجويني، والرازي، والباقلاني، وقال به أكثر الماتريدية(١). والبعض منهم مَن يقول: إن تصديق القلب يقبل الزيادة والنقصان؛ لثبوت الأدلة والبراهين عليه، وهو قول الغزالي والإيجي(٢).

– قول أبي حنيفة وأصحابه(٣): أن الإيمان هو: الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، لا يزيد ولا ينقص.

– الكرَّامية قالوا: إن الإيمان هو الإقرار باللسان دون القلب(٤).

– الشيعة قالوا بقول المرجئة في الإيمان، وهو أنَّه لا يضر مع الإيمان سيئة، وأنه لا ينفع مع الكفر حسنة(٥).

ولما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكثير مِن هؤلاء– يريد الشيعة– يقولون: حُبُّ عليٍّ حسنة لا يَضر معها سيئة»(٦)، رد عليه محمد مهدي الكاظمي بقوله: «ما نَسبه

(١) ينظر: **اللمع**، للأشعري، (١٢٣). الجويني، **العقيدة النظامية**، (٦٢). **شرح الفقه الأكبر**، للملا القاري. والباقلاني، **التمهيد**، (٣٤٦– ٣٤٧).

(٢) **قواعد العقائد**، ص ٢٣٦– ٢٦٣. **المواقف**، للإيجي، ص ٣٨٨. **مسائل الإيمان**، للقاضي أبي يعلى، ص ٣٩٩.

(٣) **الفقه الأكبر**، ص٧٠. **أصول الدين عند أبي حنيفة**، ص ٣٥٤.

(٤) الخلف، سعود، مرجع سابق، ج١، ١٣٨.

(٥) انظر: ["أصول الكافي": ٤٦٣/٢]، نقلًا عن: **قراءة في أصول الشيعة الإمامية**، إعداد: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، (ص٦٥).

(٦) ابن تيمية، **منهاج السنة**، ت: محمد رشاد، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٩٨٦م)، ج١ ص١٠٦.

إلى كثير من الشيعة من القول بأنَّ حُبَّ عليٍّ حسنة ليس يَضر معها سيئة، فإنه بهتان منه؛ فإنهم جميعًا متفقون على ذلك، فتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب»(١).

ومن تتبع كتب الشيعة يجد أنهم على توافق وانسجام تام مع المرجئة فيما ذكرنا، ومع الوعيدية في تكفيرهم لمرتكب البدعة عمومًا من أهل القبلة؛ سواء كانت تلك البدعة مكفرة أو غير مكفرة(٢).

هذه بعض الأقوال التي اشتهرت في الإرجاء في قضية زيادة الإيمان ونقصانه.

"وجميع مَن ذكرنا من الطوائف الإرجاء في القديم والحديث؛ أخرجت العمل من مسمى الإيمان، ولم يُثبتوا في أصولهم زيادة الإيمان ونقصانه، ومَن قال منهم بالزيادة والنقصان فإنما أراد منه التصديق، وهذا ليس هو المراد من كلام السلف، وإنما قصد السلف بالزيادة والنقصان على ما في القلب والجوارح.

ولما علمت المرجئة بطلان ما ذهبت إليه الوعيدية من القول بنفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة، وعلموا أن قول الوعيدية مناقض للنصوص الشرعية وما عليه الإجماع، بالرغم من موافقتهم الوعيدية في استحالة التفاوت في الإيمان؛ لذا أرجئوا العمل عن مسمى الإيمان؛ لعلمهم أنهم لو أدخلوا العمل في الإيمان للزمهم نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة، فكان قول المرجئة في حقيقته هروبًا مما وقعت فيه الوعيدية، لكنهم وقعوا في باطل آخر، خالفوا به النصوص الشرعية الواردة، وخالفوا ما عليه الإجماع، وبهذه المخالفة خالفوا دلالة العقل أيضًا،

(١) الكاظمي، **منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية**، ج١ ص٩٨، نقلًا عن: **قراءة في أصول الشيعة الإمامية**، الشلهوب، (ص٦٥).

(٢) يقول المفيد: «اتَّفقت الإماميةُ على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم، وإقامة البينات عليهم؛ فإن تابوا عن بدعهم، وصاروا إلى الصواب، وإلا قتلهم؛ لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار». ["أوائل المقالات": ص١٦]، نقلًا عن: **قراءة في أصول الشيعة الإمامية**، إعداد: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، ص٦٥.

مع أن شُعَب الإيمان متفاوتة؛ فلم يُفَرّقوا بين ما هو ركن وما هو واجب في الإيمان"[١].

وقول المرجئة الذي عارضوا به الوعيدية، وأثبتوا الإيمان لمرتكب الكبيرة يُعَدُّ قولًا صحيحًا من حيث المبدأ، لكن قولهم: إنه يلزم من ذلك عدم نقصان إيمان مرتكب الكبيرة، وأن العمل لا يمكن أن يكون داخلًا في مسمى الإيمان، فهذا قول باطل، وهذا هو الأصل المشترك بين الطوائف المخالفة لأهل السنة، وهو القول (بعدم التفاوت في الإيمان)، وأنه يستحيل الجمع بين إثبات الإيمان لمرتكب الكبيرة واعتبار العمل من الإيمان. وبهذا القول الذي ادَّعته المرجئة فإنه يَلزمهم بذلك التسوية بين إيمان النبي صلى الله عليه وسلم وإيمان الفاسق، وأنَّ كل ما ذكروه لدفع هذا الإلزام لا يُخرجهم منه.

- **ثانيا: الوعيدية[٢]:**

والمقصود بهم: (المعتزلة[٣]- الخوارج[٤])، والوعيدية: هم القائلون بأن الله يجب عليه عقلًا أن يُعَذِّب العاصي؛ كما يجب عليه أن يُثيب المطيع[٥]، فمن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم أن يغفر الله له، ومذهبهم باطل مخالف للكتاب والسنة؛ قال تعالى:

(١) الخلف، سعود، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، مرجع سابق، ج١، ص٥٥، بتصرف.

(٢) "**الوعيديَّة**: مَن غلَّبوا جانب الوعيد، وقالوا: أي كبيرة يفعلها الإنسان ولم يَتب منها؛ فإنه مخلَّد في النار بها: إن سرق فهو من أهل النار خالدًا مخلدًا، وإن شرب الخمر فهو في النار خالدًا مخلدًا ... وهكذا. والوعيدية تشمل طائفتين: المعتزلة، والخوارج. واتفقت الطائفتان على أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، لا يخرج منها أبدًا، وأن من شرب الخمر مرة؛ كمن عبد الصنم ألف سنة، كلهم مخلَّدون في النار، لكن يختلفون في الاسم"، ينظر: العثيمين، **شرح العقيدة الواسطية**، (السعودية، دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٢١)، ج٢، ص٦٩.

(٣) انقسمت المعتزلة إلى اثنتين وعشرين فرقة؛ لكل واحدة منها أفكارها وآراؤها الخاصة منها: "الواصلية، والعمرية، والهذلية...، إلخ".

(٤) قال الشهرستاني: «وكبار فرق الخوارج ستة: (الأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والإباضية، والثعالبة، والباقون فروعهم)".

(٥) القاضي عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط٣، ١٩٩٦)، (١٣٥- ١٣٦)، وينظر شرحه مفصلًا، (٦١١- ٦٩٣).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴿١١٦﴾ [1]، وقد استفاضت الأحاديث في خروج عصاة الموحدين من النار ودخولهم الجنة[2].

وهم من قالوا بالوعيد لمرتكب الكبيرة، ولم يروا لأهل المعاصي رحمة في الآخرة؛ لأنَّ الإيمان عندهم عمل الطاعات، وهو لا يزيد ولا ينقص[3].

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك، كما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أنَّ الأمة هي الوسط في الأمم. وهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل: الجهمية، وأهل التمثيل: المشبهة. وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية. وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية وغيرهم. وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية وبين المعتزلة وبين المرجئة والجهمية. وفي أصحاب رسول الله بين الروافض وبين الخوارج[4].

- **مسألة: اختلفت الوعيدية في الإيمان ما هو؟ على الآتي:**

أولًا: الأصول المتفق عليها عند الوعيدية في الإيمان:

١. أن الإيمان هو جميع الطاعات الواجبة.

٢. أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٣. إدخال الأعمال في الإيمان، إلا أنهم جعلوه شرطًا في صحة الإيمان، أما أهل السنة فهو عندهم شرط كمال.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٤٨).

(٢) هراس، محمد خليل، **شرح العقيدة الواسطية**، (الخبر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٥ هـ)، ج١، ص١٨٩.

(٣) الأشعري، **المقالات**، ج١، ١٦٨. القاضي أبو يعلى، **مسائل الإيمان**، ص٣٩٧. القاضي عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، ص١٣٩.

(٤) محمد، حامد، **فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد**، ت: بكر أبو زيد، (دار المؤيد، ط١ ١٤١٧هـ)، ج١، ص٩٠.

٤. من استحق الثواب عندهم لم يستحق العقاب، ومن استحق العقاب لم يستحق الثواب(١).

٥. أن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب، فهو مخلد في النار.

- **ثانيًا: الأصول المختلف عليها عند الوعيدية في الإيمان:**

١. مرتكب المعاصي- عند الخوارج- قد خرج من الإسلام، فهو كافر.

٢. مرتكب المعاصي- عند المعتزلة- أنه بين الكفر والإيمان، وهو ما يسمى عندهم: منزلة بين المنزلتين(٢).

٣. مرتكب الكبيرة عندهم مخلد مع الكفار، وعند المعتزلة لا يعذب عذابهم، إنما هو في نار مغايرة.

- **ثالثًا: قول الوعيدية في مسمى الإيمان وتعريفه:**

كما هو معلوم أن أول خلاف حدث في هذه الأمة هو الخلاف في الإيمان، حين بدأ أمر الخوارج في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، وأثاروا الفتنة بقول تكفير مرتكب الكبيرة، ثم ظهرت المعتزلة؛ فاتفقوا معهم في أصل المسألة، وهم خروج مرتكب الكبيرة من دائرة الإيمان، مع مخالفتهم لهم في تكفير مرتكب الكبيرة، ولذلك شملهم وصف الوعيدية، وكان في الطرف النقيض من الخوارج والمعتزلة في نفيهم الإيمان عن مرتكب الكبيرة، وما ترتب على ذلك من أحكام الوعيد، هم المرجئة، ووُصفوا بالإرجاء؛ لإرجائهم العمل عن مسمى الإيمان. ثم استمر الخلاف بعد ذلك في مسائل الإيمان، وإن كان بالإجمال يعود إلى الوعيدية والمرجئة، ولا يزال

(١) ابن تيمية، **التسعينية**، ت: د. محمد العجلان، (السعودية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م)، (ج٣/ ١٠٣٢).

(٢) هو قول واصل بن عطاء عند محاورته لعمرو بن عبيد، حيث قال له: "أوليس تجد الفرق على اختلافهم يُسمون صاحب الكبيرة فاسقًا، ويختلفون فيما عداه من الأسماء؟! فالخوارج تسميه كافرًا وفاسقًا، والمرجئة تسميه مؤمنًا فاسقًا، وأهل السنة تسميه مؤمنًا فاسقًا، والشيعة تسميه فاسقًا كافر نعمة. فأجمعوا على تسمية مرتكب الكبيرة بالفاسق، فنأخذ بالمتفق عليه، ولا نسميه بالمختلف عليه".

الخلاف في الإيمان إلى اليوم. ومع ما بين المذاهب المخالفة لأهل السنة في الإيمان من الاختلاف إلى حدِّ التناقض، إلا أنهم متفقون على أصل مشترك بينهم، وهو القول باستحالة التفاوت في الإيمان، وأنه إن ذهب منه شيء لزم انتفاؤه بالكلية، وأنه لا يزيد ولا ينقص، فقولهم بتكفير مرتكب الكبيرة، والمنزلة بين المنزلتين، وإخراج المرجئة العمل عن مسمى الإيمان- جميعها يَستند على هذا الأصل.

هذه الدعوى هي الفيصل بين أهل السنة وبين جميع المخالفين لهم في الإيمان؛ فأساس الخلاف القائم هي مسألة: (تفاوت الإيمان)، ولا شك أنه مخالف لصريح النصوص، وللضرورة الشرعية والعقلية.

وبهذا القدر نكون قد وصلنا إلى نهاية هذه الدراسة التي لا يسعني فيها إلا أن أحمد الله تعالى أن وفقني فيما أَدليت فيها من فيض المداد قبل جفافه، كما أسأل الله تعالى القبول والإخلاص في القول العمل، فما كان في ديباجتها من صواب فهو من الله الواحد المعطي، وإن كان فيها من خَلل أو زَلل فعساني أن أُعذر في ذلك؛ لأنه عمل بشري، ولابد فيه من نقص؛ فقد أَبَى الله عز وجل إلا أن يكون الكمال لكتابه وحده...

تم بحمد الله، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين محمدٍ وآلِه وصحبِه.

النتائج:

- الإيمان لغة: له مَعنيان حسب الاستعمال؛ الأمن والتصديق، والمعنيان متداخلان.
- قد يتوافق تعريف الإيمان في اللغة مع تعريف الإيمان الشرعي، مع العلم أنَّ المعنى الاصطلاحي أشمل من اللغوي؛ لأنه هو المراد الذي نتعبد الله تعالى به.
- لا يصحُّ الإقرار القلبي دون الانقياد العملي؛ لذلك لا يمكن أن يزعم المرء أنه أقر بقلبه، ولا يُترجم ذلك إلى أفعال.
- تعدُّ مسألة الإيمان من أكبر المسائل التي حصل فيها النزاع بين أهل السنة والمخالفين لهم، ولولا الفهم الخاطئ لمسمى الإيمان لما وُجدت هذه الخلافات والصراعات وإراقة الدماء.
- إيضاح أن أهل السنة الجماعة هم الوسط بين المغالين؛ مثل: الوعيدية، وبين الجفاة؛ مثل: المرجئة.
- حاصل الخلاف عند المخالفين لأهل السنة متعلق بالآتي:

١. أن الإيمان شيء واحد، والكفر خصلة واحدة.

٢. أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٣. أنه لا يجتمع في القلب إيمان ونفاق.

٤. أنه لا يكون في أعمال العبد شُعبة من الشرك وشعبة من الإيمان.

التوصيات:

بالنسبة للتوصيات فإني قَسَّمتها إلى محورين:

الأول: ما يتعلق بالفرد المسلم:

– على الفرد المسلم أن يحرص على مصدر التلقي فيما يتعلق بأمور دينه؛ فلا ننعق بكل ما شرَّعه الغرب من قول: هذا إرهابي، أو غير ذلك من الألفاظ التي انتشرت، ووجوب الذَّبِّ عن الإسلام.

– إن وسائل الإعلام لا تمثل المصدر الصَّحيح للتلقي؛ مهما كان نوعها، خاصة المواقع الإخبارية، فإنها هي مصدر الشرور بين المسلمين.

– أن يدرك المرء المسلم أن الدِّين أمانة في عنقه، وهو ميراث سيد المرسلين؛ فيَحرص على الحفاظ على هذه الميراث، ويؤدي الأمانة حق أداء.

الثاني: ما يتعلق بالمجتمع المسلم:

– إنشاء مراكز تُعنى بالحوار الفكري؛ تتسم بالحيادية، ولا تتبع للجهات الأمنية.

– تفعيل دور رابطة علماء المسلمين، بحيث تُصبح سلطة تنفيذية، وصانعة قرار، وتكون بحقٍّ هي المرجعية الشرعية لجميع المسلمين، وأن يَسعوا لجمع كلمة المسلمين لا لتفريقها؛ تماشيًا مع سياسات الدول.

– على ولاة أَمر المسلمين أن يتعاملوا مع التيارات المنحرفة تعاملًا إنسانيًّا، واحتوائهم قدر الإمكان.

فهرس المراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي شيبة، **الإيمان**، (الأردن، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣).

٣. ابن تيمية، **الصارم المسلول**، تحقيق: محمد محيي الدين، (السعودية، الحرس الوطني).

٤. ابن تيمية، تقي الدين، **التسعينية**، (الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٩).

٥. ابن تيمية، **الإيمان**، ت: الألباني، (الأردن، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ).

٦. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ت: ابن قاسم، (المدينة، مجمع الملك فهد، ط١، ١٩٩٥).

٧. ابن تيمية، **منهاج السنة**، ت: محمد سالم، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٩٨٦).

٨. ابن عثيمين، **شرح الواسطية**، تخريج: سعد الصميل، (السعودية، دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٢١هـ).

٩. ابن فارس، أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، ت: عبد السلام هارون، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

١٠. ابن كثير، **المختصر**، ت: محمد الصابوني، (بيروت، دار القرآن الكريم، ط٧، ١٤٠٢هـ).

١١. ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ).

١٢. أبو حنيفة، **الفقه الأكبر**، (الإمارات العربية، مكتبة الفرقان، ط١، ١٩٩٩).

١٣. أبو زيد، بكر، **درء الفتنة عن أهل السنة**، (الرياض، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ).

١٤. أبو يعلى، **مسائل الإيمان**، تحقيق: سعود الخلف، (الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١٠هـ).

١٥. الأثري، عبد الله، **الوجيز في عقيدة السلف الصالح**، (السعودية، وزارة الشئون الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ).

١٦. الأحمد، يوسف، **مسائل الإيمان وضوابط التكفير**، (موقع نور الإسلام الإلكتروني).

١٧. الأزهري، الهروي، **تهذيب اللغة**، (دار إحياء التراث العربي- بيروت، ٢٠٠١).

١٨. الأسيوطي، **جواهر العقود**، ت: مسعد السعدني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦).

١٩. الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، عنى به، هلموت ريتر، (ألمانيا، دار فرانز شتايز، ط٣، ١٩٨٠).

٢٠. **أصول الكافي**، نقلًا عن: **قراءة في أصول الشيعة الامامية**، إعداد: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب.

٢١. الألباني، ناصر الدين، **السلسلة الصحيحة**، (الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٥).

٢٢. الألباني، ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير**، (بيروت، المكتب الإسلامي)

٢٣. **أوائل المقالات**، نقلًا عن: **قراءة في أصول الشيعة الامامية**، إعداد: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب.

٢٤. الإيجي، عضد الدين، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩٧).

٢٥. الباقلاني، **التمهيد**، ت: رتشرد يوسف مكارثي، (بغداد، ج الحكمة، بيروت، م الشرقية، ١٩٥٧).

٢٦. البخاري، **الجامع المسند الصحيح**، تحقيق: محمد زهير، (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ).

٢٧. الترمذي، **السنن**، تحقيق: شاكر وعبد الباقي، (مصر، شركة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥).

٢٨. التويجري، حمود، **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم**، (الرياض، دار الصميعي، ط٢، ١٤١٤هـ).

٢٩. الجبرين، عبد الله، **شرح العقيدة الطحاوية**، دروس موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

٣٠. الجوهري، **الصحاح**، (بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧).

٣١. الجويني، **الإرشاد إلى قواطع الاعتقاد**، ت: محمد موسى، (مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٥٠).

٣٢. الحازمي، أحمد بن عمر، **شرح العقيدة الواسطية**، دروس صوتية من موقع: http://alhazme.net

٣٣. الحميري، نشوان، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، ت: د. حسين العمري ومطهر الإرياني، و/د. يوسف محمد، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٩).

٣٤. الحنبلي، ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ت: الأرناؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ٢٠٠١).

٣٥. الخلف، سعود، **أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة**، ط: ١٤٢٠هـ).

٣٦. الرازي، فخر الدين، **المحصول**، تحقيق: طه العلواني، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٧).

٣٧. السجستاني، أبو داود، **السنن**، تحقيق: الأرنؤوط، وقرة بللي، (دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩).

٣٨. الشاطبي، **الاعتصام**، ت: هشام الصيني، (السعودية، دار ابن الجوزي للنشر، ط١، ٢٠٠٨).

٣٩. **شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد**، لعبد العزيز الراجحي، (دروس صوتية، موقع الشبكة الإسلامية).

٤٠. الشهرستاني، أبو الفتح محمد، **الملل والنحل**، ، مؤسسة الحلبي).

٤١. ضميرية، عثمان، **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، (السعودية، مكتبة السوادي، ط٢، ١٩٩٦).

٤٢. عبد الوهاب، سليمان، **التوضيح عن توحيد الخلاق...**، (الرياض، دار طيبة، ط١، ١٩٨٤).

٤٣. العقل، ناصر، **شرح الطحاوية**، دروس صوتية الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

٤٤. عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصر**، (القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨).

٤٥. العواجي، غالب، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، (جدة، م العصرية، ط٤، ٢٠٠١).

٤٦. الغزالي، **قواعد العقائد**، تحقيق: موسى على، (لبنان، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٥).

٤٧. الفوزان، صالح، **عقيدة التوحيد**، (الرياض، دار المنهاج، ط١، ١٤٣٤هـ).

٤٨. القاضي عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، ت: عبد الكريم عثمان، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط٣، ١٩٩٦).

٤٩. **كنز العمال**، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، (مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٨١).

٥٠. اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، ت: الغامدي، (الرياض، دار طيبة، ط٨، ٢٠٠٣).

٥١. محمد الكاظمي، **منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية**، نقلًا عن: **قراءة في أصول الشيعة**، الشلهوب.

٥٢. محمد خليل هراس، **شرح العقيدة الواسطية**، (الخبر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٥ هـ).

٥٣. محمد، حامد، **فتح الله الحميد في شرح التوحيد**، ت: بكر أبو زيد، (دار المؤيد، ط١ ١٤١٧هـ).

٥٤. المغراوي، محمد، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج**، (القاهرة، المكتبة الإسلامية للنشر، ط١،).

٥٥. النيسابوري، **الصحيح المسند**، تحقيق: محمد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث).

٥٦. هراس، محمد خليل، **شرح العقيدة الواسطية**، (الخبر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٥هـ).

٥٧. الهروي، القاسم بن سلام، **الإيمان**، ت: الألباني، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣).

٥٨. الوهيبي، محمد بن عبد الله، **نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف**....